الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في إحياء علوم الدين فترة حكمه (1054هـ -1087هـ)

سليم عبد الله محمد شرف الدين
كلية التربية والعلوم رداع-جامعة البيضاء-الجمهورية اليمنية
DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v5i3.392

الملخص

تناول البحث فترة تاريخية من حياة اليمن واليمنيين قاد سـفينتها إمام عظيم، هو المتوكل على الله إسـماعيل بن القاسـم؛ حيث كان مهتمًا بالعلم وتوارثه، وبالعلماء والتدريس، وبالمدارس، والهجر العلمية، وبتأليف الكتب في مختلف العلوم، وهذا أدى إلى نشـاط معرفي في اليمن عكس هذا النشـاط العلمي اسـتقرارًا اجتماعيًا ونشـاطًا اقتصـاديًا كبيرًا، وقد تناول هذا البحث سـيرته وحياته التي حققت كل هذا، وقد أعتبر كثير من الباحثين أنه باني نهضة اليمن ومؤسس الدولة اليمنية الحديثة، بقوانينها الشرعية والاقتصادية والاجتماعية.

الكلمات مفتاحية: الإمام – مذهبه –مؤلفاته.

Abstract

The research dealt with a historical period in the life of yemen and the Yemenis whose ship was led by the great Imam Al- mutawakkil ala Allah Ismail bin Al- gasim. He was interested in science and its inheritance, scholars and teaching schtools, and authoring books in various sciences. This led to a cognitive activity in yemen. This scientific activity reflected social stability and great economic activity. This research dealt with his biography and his life that made all of this possible. He was considered, by many researchers, the leader of Yemen Renaissance and the establisher of modern Yemen with its religious, economic and social laws.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد:

من المهم لنا نحن اليمنيين، أن نفخرَ بماضينا العظيم، وتاريخنا الأصيل خصوصًا وأنَّهُ ماضٍ عريق ومشرق، مستند على أسسٍ ثابتةٍ فقد تركَ لنا علماؤنا الأجلاء عبر العصـــور المختلفة تُراثًا علميًا كبيرًا، وقد كان للمدرسة الزيدية في اليمن الدور الأبرز في هذا الجهد، من خلال علمائها، الذي امتد علمهم عبر القرون، وقد كان للإمام المتوكل إسماعيل(1054هـــ-1087هـــ) الدور الكبير في النهضـــة العلمية في اليمن والنهوض بالمجتمع اليمني علميًا واجتماعيًا واقتصاديًا، وهذا البحث يبرز شخصية الإمام المتوكل وحياته الشخصية وإسهاماته العلمية في الساحة اليمنية.

موضوع البحث وحدوده:

البحث دراســة تاريخية، فهو دراســة تاريخية من حيث تناوله لشـخصـية تاريخية هامة في تاريخ اليمن، هي شـخصـية الإمام إسماعيل بن القاسم بن محمد(1054هـــ-1087هـــ) وإسهاماته الفكرية في الســاحة اليمنية، ودعمه للمدارس العلمية، ودعمه للعلماء، وإيمانه المطلق أنه لا نهضة للشعوب إلا بالعلم والعلماء والنهضـــة العلمية، وحدود البحث الترجمة الكاملة لحياة الإمام والنهضة العلمية التي حدثت في اليمن في عهده.

إشـكالية البحث: ما الإســهامات التي قدمها الإمام إسـماعيل في النهضة العلمية ودعمه للعلم والعلماء؟

أهداف البحث:

- إظهار الإسهامات العلمية التي قدمها الإمام إسماعيل في دعمه للعلماء وطلاب العلوم الدينية.
- إبراز شخصية الامام إسماعيل والترجمة الكاملة له.
- الحاجة إلى العودة إلى الماضي العريق لتاريخنا اليمني الأصيل والاستفادة من العلماء العاملين كالإمام إسماعيل بن القاسم والقيام بنظرة فاحصة عن دوره في النهضة العلمية لليمن.

أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره:

تـأتي أهمية هذا البحث في محاولة إظهار الدور الكبير للإمام إسـماعيل بن القاسـم في دعمه للمدارس العلمية ورعاية العلماء وطلاب العلوم الشرعية وإرساء دعائم الأمن في المجتمع اليمني. الحاجة إلى العودة إلى الماضي العريق لتاريخنا اليمني الأصيل، والاستفادة من العلماء العاملين كالإمام إسماعيل بن القاسم والقيام بنظرة فاحصـــة عن دوره في النهضـــة العلمية لليمن؛ لننهل من علمهم وخبراتهم في التغلب على صـراعات الحياة المعاصـرة – كما هو حادث في اليمن في الآونه الأخيرة.

منهج البحث:

تم اعتماد المنهج التاريخي التحليلي.

خطه البحث:

اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين

المقدمة: وفيها:

- أهمية الموضوع
- أهداف الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- مشكلة البحث
- ملخص البحث

المبحث الأول: الحياة العلمية للإمام إسـماعيل والترجمة له، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة العلمية في عصر الإمام إسماعيل.

المطلب الثاني: اسمه، ولقبه، ونسبه، وموطنه، وولادته، ونشأته، ووفاته.

المطلب الثالث: طلبه للعلم، وثناء العلماء عليه، وشـــيوخه، وتلاميذه، ومذهبه ومصنفاته وسيرته بين الناس.

الخاتمة: وفيها:

نتائج البحث، والتوصيات، والمقترحات.

المبحث الأول: الحياة العلمية للإمام إســماعيل والترجمة له، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة العلمية في عصر الإمام إسماعيل.

الحياة العلمية في عصر الإمام إسماعيل:

عندما نتتبع مســـار الحياة العلمية في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري، نجد بأنَّ حالات الصـراع والاضـطرابات السياسـية التي كانت مهيمنه على الوضـع العام في تلك المرحلة؛ لم تؤثر بشـكل ملحوظ على واقع الحياة العلمية في اليمن أو تحد من نشـــاط العلماء والهجر العلمية المنتشـــرة في كل مكان، مما يؤكد بأنَّ آل القاسم لم يهملوا هذا الجانب المشرق في هذه الدولة؛ بل اهتموا به اهتمامهم بأي جانب آخر من الجوانب المكونة للدولة القاسمية في ذلك الوقت؛ حيث "كانت سياستهم تقوم على تشجيع النواحي الحضـــارية في البلاد ســـواءً كانت علمية أو أمنية أو عمرانية أو إدارية وهذا ما تؤكده التركة العلمية التي خلفها الإمام القاســـم بن محمد وأولاده من بعدهِ في مختلف الفنون والعلوم، فضـــلاً عن الحراك العلمي الذي أثارته تلك الكتب التي ألفها أئمة آل القاسم في عصـرهم والعصـور اللاحقة بين مختلف الطوائف والفرق، ومـا ترتـب على ذلـك الحراك من إثراءِ تلـك المؤلفـات بالشـــروحِ والاختصـــارات والعناية بها دراســـةً وتحقيقًا ونســـخًا وتداولًا.

ولم تكن تلك النهضـــة العلمية التي شـــهدتها اليمن في القرن الحادي عشر الهجري – عصر الإمام المتوكل إسماعيل – حِكرًا على النخبِ العلمية وكبار الأئمة والعلماء، فمدارس العلم

وهجره كانت مفتوحةً أمام الجميع بلا استثناء، فتنافس الجميع على الاغتراف من منابع العلم والمعرفة وتعددت الهجر حتى تحولت المساجد إلى مدارس علمية تشد إليها الرحال في ظل بيئة تشجع على طلب المعرفة والبحث والتحصيل العلمي.

وكان كثير من الأئمة والملوك والأمراء والموسرين ومشايخ القبائل وأعيانها في اليمن ينشئون هجراً ورباطات ومدارس علمية، ويوقفون عليها أحسن أموالهم وخزائنَ كُتبهم، ويوفرون لها كل ما تحتاج من الأموال والأمن والحماية، ويكفلون لها سبل نشر العلم والمعرفة، وقد اشتُهِر في تلك الفترة، هجرة طلاب العلم من الريف إلى المدينة أو المناطق التي تتوفر فيها هجر العلم، وترك المهتمون قراهم منصرفين عن الزراعة، واتجهوا إلى مدارس العلم للتفرغ لطلبه.

ولعل اهتمام الكل بالعلم وإكرام العلماء وطلاب العلم يعود إلى أنَّ الأئمة الذين حكموا اليمن في تلك الفترة هم من أتباع المذهب الزيدي، ومعروف أنَّ من شروط الإمامة في المذهب الزيدي أن يكون الداعي لنفسه بالإمامة عالمًا مجتهدًا، وقد ساعد اهتمام الولاة والدولة بالعلم والعلماء في ازدهار الحركة العلمية في ذلك العصر.

وما يدل على اهتمام بعض الأئمة بالعلماء:

ما ذكره يحيى بن الحسين بن القاسم عندما ترجم للعلامة الحسن بن شمس الدين بن جحاف في بهجة الزمن حيث ذكر أنه ترك أسرته في القرية، واتجه إلى صنعاء للتفرغ للعلم وقد تكفل بإطعامه أحد الأعيان، كما أمر الحسن بن القاسم ببناء منظرة له.

وقد كانت البيئة التي نشأ فيها الامام المتوكل إسماعيل، عامرة بالمدارس والرباطات العلمية، فنجد مثلًا أنَّ الإمامَ القاسم بن محمد اشتغل بطلب العلم على يد علماء عصره، وبرعَ في العلومِ الشرعية، وصنَّفَ فيها المصنفات وبنى بعض الدور لطلابِ العلم، وكانَ يحثُّ على احترامِ العلماء وطلاب العلم، وكان يعدَّ طلب العلم من أكبرِ الفرائض وأعظم الطاعات، وكذلك كان ابناه الإمامان: المؤيد محمد، والمتوكل إسماعيل في الاهتمامِ بالعلمِ والعلماء وطلّاب العلم، فَجدّا في طلبِ العلم، وصنفا طائفة من المصنفاتِ في كثيرٍ من العلومِ الشرعية، وكان لهما تلاميذ تعلموا على أيديهم، ولقد كان الإمام المؤيد محمد بن القاسم مهتمًا بتعمير المدارس، وتفقد أمور أهلها، وكان يتولاها بنفسه، وكان معروفًا بالإحسان إلى أهل العلم

واستمر الاهتمام بالحركة العلمية في عصر أخيه الإمام المتوكل إسماعيل، وكان يلزم ولاته بإحيائه، ويأمرهم أن يكفلوا كل من يقبل على طلب العلم من بيت المال حتى يتفرغ لطلب العلم، وكان محبًا للعلماء، محببًا إليهم وكان يشغل أوقاته بالتدريس أو المطالعة، ولهذا بلغ العلماء في أيامه عددًا كبيرًا لم يقع في أيام غيره، وكانت للإمام المتوكل إسماعيل مكتبة، جمعت كل العلوم حتى جمع منها-بعد إخراج الثلث وقسم الباقي – خمسة وعشرين ألف مجلد.

وهنا نستطيع القول: إنَّ موقف الدولة والأئمة من العلماءِ هو الاهتمام بهم وتشجيعهم وبناء المدارس، وكفالة طلاب العلم، فعلى سبيل المثال نجد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، كان يصرف على الطلبة والعلماء ما يحتاجونه من طعام ومأوى، كما حرص على عقد الكثير من مجالس العلم، ولم يكن يضيق صدره بالمخالفين له في الرأي أو الاجتهاد الفقهي وحتى السياسي، فلم يتخذ أي موقف عدائي منه.

يقول الجرموزي عن المتوكل على الله إسماعيل: "ولقد قرَّب العلماء منه وأجزل لهم العطاء، وكان إذا ما زار مدينة أو قرية اصطحب معه أكابر العلماء وطلبة العلم يأخذون عنه ما يريدون، وهو يبذل ويفيض عليهم من بيوت الأموال ما يحتاجون إليه"، ويقول العلامة عبد الله الوزير عن الإمام المتوكل: "كان محبًا للعلماء ومحببًا إليهم"، وقال عنه المحبي: "إذا اجتمع بأحد من أهل العلم يقبل بوجهه عليه ويوده ويؤانسه".

ولعل اهتمام الإمام المتوكل بالعلماء كان له الأثر في رجال الدولة، حيث تنافسوا في رعاية طلاب العلم، فمثلًا ذكر الجرموزي أنَّ محمد بن الحسن قام بإنشاء وإصلاح العديد من دور العلم في كل من ذمار وإب لتلقي الدرس والتدريس.

وقد كانت صنعاء أهم المراكز العلمية البارزة في عصر الإمام المتوكل، لذلك فقد توجه إليها كثير من علماء العرب والمسلمين، وهؤلاء-كما ذكر الجرموزي-بأنهم قد تلقوا كل الاهتمام والرعاية من قبل الإمام المتوكل، حيث أمَّنَ لهم محل إقامتهم، وهيأ لهم سائر جوانب معيشتهم الأخرى، وكان يعقد الجلسات العلمية معهم.

المكتبات المشهورة في ذلك العصر:

توفرت في اليمن في تلك الفترة مكتبات ضخمة شملت آلافًا من الكتبِ في شتى أنواع العلوم، سواء من مؤلفات علماء اليمن أو من غيرهم من علماء العالم الإسلامي.

وقد اهتمَّ الإمام إسماعيل بالكتبِ وكانَ يدركُ أهميةَ عمل مكتبات -وجمع الكتب فيها- في تشييد الحضارة الإسلامية وازدهار الحركة العلمية في تلك الفترة، فمن تلك المكتبات:

- مكتبة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، قيل إنه:" كان يجمع كتب العلوم حتى جمع منها – بعد إخراج الثلث وقسم الباقي – خمسة وعشرين ألف مجلد، وأبقاها حرًا على أولادهِ فانتفعوا بها وانتفع بها المسلمون."
- مكتبة العلامة محمد الولي وهو من علماء الطائف، وقد خرجت مكتبتهُ تلك من الطائفِ إلى مدينةِ شهارة باليمن، وتقع في ألف وأربعمائة مجلد.

ومن تلك الكتب:

-كتاب" الأزهار" للإمام أحمد بن يحيى المرتضى **(34)**، وبعض شروحه الهامة.

-كتاب (البيان الشافي) لابن مظفر **(35)**.

-كتاب (غايةَ السؤال وشرحه هداية العقول)، للحسين بن القاسم (999هـ – 1050هـ)، وغيرها والتي لا يتسع المقامُ لذكرها.

المذاهب والمدارس الفكرية:

كانت الولايات التي تقع شمال اليمن تعتنق المذهب الزيدي، وكان المذهب الزيدي هو السائد آنذاك فيها، إلا أن مناطق اليمن الأسفل، مثل: إب وتعز وعدن وحضرموت كانت تعتنق المذهب الشافعي، وكان هناك حرية فكرية ومجالس فكرية تعقد بين علماء اليمن والعلماء الوافدين عليهم من خارج اليمن، وكانت تعقد حتى في مقامات الأئمة والأمراء، وكان يتم النقاش فيها لكثيرٍ من المسائلِ التي كانت موضع اهتمام في ذلك العصر.

كانت مدينة صعدة قبلةً لطلابِ العلم من كلِ مكان وازدهرت فيها الهجر العلمية الرائدة عبر التاريخ، واحتضنت أبرز علماء اليمن في مختلف الفنون في ذلك العصر ساعدها على تحقيق ذلك كونها عاصمة الدولة الزيدية الأولى واهتمام جميع أئمة الزيدية بها وبهجرها العلمية.

وفي تلك الأجواء العلمية نشأ وترعرع الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وتفتحت مداركهُ العلمية في وسطٍ علمي مشجع على العلمِ والعطاء والإبداع والاجتهاد، ولا نستغرب من اختيارات واجتهادات الامام المتوكل إسماعيل فقد بلغَ درجة الاجتهاد، وهي أعلى درجة عند أئمه أهل البيت عليهم السلام.

المطلب الثاني: اسمه، ولقبه، ونسبه، وموطنه وولادته، ونشأته، ووفاته:

اسمه ولقبه: هو الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد أحد عظماء الإسلام والأئمة الأعلام، حكم اليمن بعد وفاة أخيه المؤيد بالله سنة (1054هـ – 1644م)، وفي عهده توحدت اليمن، ووصل حكمه إلى عُمان شرقًا وإلى قريب مكة شمالًا.

ويلقب: ب (المتوكل على الله) ولقب بهذا اللقب أُسوةً بمن سبقهُ من الأئمةِ الأعلام الذين تلقبوا بألقاب مشابهة كأخيهِ المؤيد باللهِ، أو الناصر لدين الله أو الهادي إلى الحق.

نسبهُ الشريف: هو إسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور باللهِ القاسم بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن الإمام يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام الداعي يوسف الأكبر بن الإمام المنصور باللهِ يحيى بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي لدين الله يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. الحسني الهادوي، اليمني، أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين أبو علي الإمام ابن الإمام، والعالم ابن العالم. **موطنهُ:** كان يسكن ضوران آنس إحدى نواحي مدينة ذمار اليمني.

مولده: ولدَ الإمام المتوكل على الله إسماعيل ونشأ في مدينة شهارة **(37)** عام (1019هـ- 1610م) **(2)**.

أما نشأتهُ فقد نشأ في كنفِ والدهِ، الإمام القاسم، وكانَ مُلازِمًا لهُ مُتأثرًا بهِ حاضرًا لأغلبِ تجهيزاته الحربية، ومجالسهِ الدينية والعلمية، وقد أهَّلَهُ ذلك لأن يكون شخصية قيادية، حربية، وعلمية فقهية.

وفاتُهُ عليهِ السلام، في عام (1087هـ – 1676م) انتقل الإمام إسماعيل بن القاسم إلى جوارِ ربهِ عن عمرٍ ناهزَ السادسةَ والستينَ عامًا قضى ثلاثين عامًا منها تقريبًا في الحكمِ حتى أُعتُبِرَ عهدهُ مِن أزهى عصور الإمامة الزيدية، على الإطلاق؛ حيث بلغَ نُفُوذها أقصى اتساع وصلت إليه، في تاريخ الحكم الزيدي لبلاد اليمن.

مُدَّةَ حكمهِ: توفي صنوه المؤيد بالله في سنة (1054هـ- 1644م)، وكانت دعوتُه بعد موتِ أخيهِ الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في سنة (1054هـ- 1644م)، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (1087هـ- 1676م)، وقبره بالحصن مشهور مزور- رحمة الله عليه – وبذلك فمدةِ حكمهِ ثلاثة وثلاثون سنة، وكانت أيَّامُهُ أيام سعادة وحبور تجري بإمضاء آوامره ونواهيه المقدورة.

وقد خلَّفَ الإمام ثلاثةَ عشرَ ولدًا، هم محمد، وعلي، والحسن، والحسين، وإبراهيم، وأحمد، وقاسم، ويوسف، ويحيي، وزيد، ومحسن، وموسى، وعبد الله.

ومن المفيد أن نذكر بعض الوصايا التي تركها الإمام لأولاده يحثهم فيها على أن يجمعوا بين خير الدنيا، ورضى الله في الآخرة، فمن جملةِ وصاياه لهم قبل وفاته:

- وأوصيكم أيها الأولاد، ذَكَرَكُم، وأنثاكم، وسائر قرابتي، وسائر بني هاشم، أن تجتنبوا الزكوات، ولا تأكلوا منها شيئًا، ولو أكلتم الشجر.

- وابتغوا من فضلِ اللهِ، ولا يحملنكم النفل، على السكون، في البيوت، فأطلبوا الرزق من فضلِ اللهِ وتنقلوا، ولا تتخذوا السؤال حرفةً، فبئست الحرفة، ولكن اطلبوا الرزق الحلال، وإحياء الأموال.

- وأوصيكم بإصلاحِ ذاتِ البين، فإنَّهُ أفضل من عامةِ الصلاة والصيام.

ولو تمعّنا في وصايا الإمام لَلَمسنا فيها مدى حِرصهِ على أن يتمسكَّ أبناؤهُ بتعاليمِ المذهب الزيدي، وخوفه عليهم من أن يتخذوا السؤال حرفةً لهم فحذَّرهم من ذلك، وأَمَرَهُم بطلبِ

الرزق الحلال كما توضح الوصية الثالثة، وحِرصَه كذلك على أن يكونَ أبناؤهُ على درجةٍ كبيرةٍ من الاتفاقِ والتعاون؛ حتى يستطيعوا مجابهة الأخطار، ورغم أن الطابعَ الديني يُغَلِفُ هذهِ الوصية إلا أن المغزى السياسي واضح فيها.

المطلب الثالث: طلبه للعلم، وثناء العلماء عليه، وشيوخه، وتلاميذه، ومذهبه ومصنفاته وسيرته بين الناس:

طلبه للعلم : أخذَ الإمام إسماعيل عن بعضِ علماءِ عصره العلوم الدينية واُللغوية والبلاغية، وهي العلوم الغالبة في ذلك العصر، وبَرَعَ الإمام في الفقهِ وتفَوَّقَ على علماءِ عصره، حتى اعترفوا لهُ بذلك ورجعوا له في كثير من المسائل الفقهية، ومثال على ذلك ما نقله كاتب سيرته المطهر الجرموزي: "حضرت معه في بعض المجالس في يوم المظالم فقد فصل خمس خصومات في خمسه مقايل، في كل قيل دعوى وبينة لقوم آخرين مع غير ذلك مما عرض في ذلك المجلس من وافد وسائل ومسلِّم"، فالمشهور من غير نزاع أن ذكره ملأ الرقاع والبقاع، فصار كما قال بعض أصحاب والده – عليه السلام:

وعن علمه فسأل إذا كنت جاهلاً تنبئك عنه كتبه والرسائل

وازدهرت في عصرهِ العلوم، وعكفَ العلماءُ على التأليفِ ونشر العلم تحت رعايتهِ وتشجيعه، وكان عالمًا، مجتهدًا، فقيهًا، أصوليًا، سياسيًا، مُحنكًا

ومن مؤلفاتهِ: الأربعونَ حديثًا في محاسنِ الأخلاق وشرحه، و"العقيدة الصحيحة والدين النصيحة "أصول دين"، "والبراهين الصريحة شرح العقيدة الصحيحة" (مخطوط)، و"البرهان الصريح والبيان الصحيح في مسألة التحسين والتقبيح"، وهو الذي نقومُ بِتحقيقهِ، وكثير من الكتب والوصايا والرسائل.

ومن صفاتِ الإمام التي مَدَحهُ بِها العلماء، صفةَ العدل الذي حرصَ الإمام على تطبيقهِ بين رعيتهِ، حتى وإن لم يكونوا يدينون بالإسلامِ، وقد أوردَ المطهر بن محمد الجرموزي -كاتب سيرة الإمام إسماعيل- أنَّ جماعةً من التجار الهنود(البانيان) استقروا بسوقِ شهارة، ونافسوا أهل صنعاء في البيعِ والشراء، بسببِ انخفاض أسعارهم، فشكاهُم أهل صنعاء للإمام، وعندما استدعاهم وعرف منهم سبب الخلاف أمرَ بإبقائهم في مواضِعهم، وعدمِ التعرضِ لهُم وهذه القصة صورة من صورِ عدالة الإمام المتوكل إسماعيل، كما وصفهُ، مؤلف كتاب سيرته (الجرموزي) بالحزم الذي يقابله الحلم، وبالشدة التي تُقابلها الشفقة على الرعية عامة، وعلى الضعفاءِ منهم خاصة، حتى أن الجرموزي يؤكد أنَّ مائدةَ الإمام لم تكن تخلو -في أغلبِ الأيام- من المساكين مع رفقهِ بالرعيةِ والتواضع لضعفاءِ الأمة المحمدية.

شيوخه وتلاميذه:

ومن مشائخهِ: في الفقهِ القاضي سعيد بن صلاح الهبل، ومن مشائخهِ في القرآنِ الفقيه صالح بِن نَشوان المُقري، والقاضي إبراهيم بن حثيث، وأخوه الحسين بن القاسم، والمؤيد بالله محمد بن القاسم، والإمام القاسم بن محمد، والقاضي عامر الذماري، وقرأ على محمد بن عبد العزيز المفتي، وتلامذته: له العديد من التلاميذ من داخل اليمن وخارجها، ومن أشهرهم وأجلَّهُم القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري، وأحمد بن صالح بن أبي الرجال، وولده محمد بن إسماعيل، وغيرهم.

مصنفاته: ألَّفَ الامام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم عليه السلام مؤلفات عديدة أثرت المكتبة الإسلامية، ومِن أشهر هذه المؤلفات وأهمَّها:

-الأربعونَ حديثًا في محاسنِ الأخلاق منه نسخة – خ – بمكتبة الجامع الكبير (كتب المدرسة العلمية) أخرى مصورة بمكتبة الأخ عبد الله بن عبد الله الحوثي.

-شرح الأربعين حديثًا في محاسنِ الأخلاق، وهو شرح مستوعب للكتاب السابق -خ- مكتبة السيد محمد بن عبد العظيم الهادي صعدة مصورة.

- العقيدة الصحيحة، والدين النصيحة. (أصول دين) متن مشهور وموجود في المكتبات الخاصة والعامة، وطُبِعَ مؤخرًا عن دارِ التراث الإسلامي سنة(1411هـ- 1990م).

-البراهين الصريحة، شرح العقيدة الصحيحة، شرح الكتاب السابق-خ- نسخ منه في الجامع غربية رقم 13،20،277،265 مجاميع ورقم 29علم الكلام، وآخر أيضًا، في الجامع أوقاف، وهو شهير، متوفر في كثير من المكتبات الخاصة، منه نسخة مكتبة السيد عبد الرحمن شايم، أخرى – خ – سنة (1065هـ- 1654م) بمكتبة آل الهاشمي.

-المسائل المرتضاة فيما يعتمدهُ القضاة، نسخة منه برقم 19 مجاميع الجامع الكبير في الغربية ورقم 134 علم الكلام، وهو شهير موجود في كثير من المكتبات الخاصة منه – خ – مصورة بمكتبة السيد محمد بن عبد العظيم الهادي، والسيد عبد الرحمن شايم، وأخرى بمكتبة آل الهاشمي.

- البرهان الصريح والبيان الصحيح في مسألةِ التحسين والتقبيح، منه نسخ في مكتبة الأوقاف، الجامع الكبير رقم 673، وفي الغربية بالجامع أيضًا رقم 10، 263، مجاميع، أخرى بمكتبة آل الهاشمي، ونسخ أخرى في مكتبةِ السيد محمد بن عبد العظيم الهادي، وأخرى مصورة بمكتبة شايم.

-شفاء الصدور من داءِ البهت والزور (رسالة رد فيها على بعض من اعترضه، في بعض أعماله) -خ- في الجامع غربية برقم 29، 127 مجاميع، أخرى مصورة عن مخطوط سنة 1067ه بمكتبة السيد محمد عبد العظيم الهادي، ومكتبة السيد عبد الله الحوثي.

- الوصـية المتوكلية تحتوي على مقدمة، وثمانية مناشـير وخاتمة ضـمنها، أربعين حديثًا في شـأن الإمام علي نسـخة مصـورة منه بمكتبة السـيد محمد عبد العظيم الهادي، وأخرى بمكتبة الجامع، ضمن الكتب المصادرة.
- حاشـية على كتاب منهاج الوصـول للإمام المهدي بلغ فيها إلى بعضه.
- شرح جامع الأصول لابن الأثير (معجم المؤلفين).
- أجوبة مسـائل في الفقه (مجموعة فتاوى) -خ-نسـخة بمكتبة الجامع الكبير، أوقاف رقم 633، أخرى بمكتبة آل الهاشمي.

سيرتهُ بين الناس:

كان ورعُهُ الشـحيح وتقشـفه الصـريح مما لا يفتقر إلى بيان ولا يختلف فيه اثنان، فإنه مشـهور بترك كثير من المباحات والمعتـادات بقدرةٍ يُوجبهـا المقدور، وعزيمـة لا يتعلق بهـا غبـار الأمـاني والغرور، وأبوابهـا غفيرة وأعـدادهـا كثيرة. قـال كـاتـب سيرة الإمام العلامة المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي: "وأمَّا تـدبيرهُ النـافع فلا أعظم وأجلى من المعلومـات المشـــاهـدة، الاعتراض عليه من ذوي الحِنكة والتدبير في تدبيره، ولا جرى للمعترض لســـان في تهجين أموره مع كثرة من يريـد ذلـك". وأمَّـا ســخـاؤهُ فـأظهر من الملوان، ومما لا يختلف فيـه أنس ولا جان، فمن عجيب ما رأيتُ من عطائهِ أنَّهُ وفَدَ إليهِ الشريف عمار بن الشريف بركات الحسني المكي فأعطاهُ ما يشق ذكره في هذا المقام.

ومن كرمـهِ مَـا أخْبَرني بـهِ سـيـدي العلامـة إبراهيم بن محمد المؤيدي بصـنعاء، قالَ: وصـلتُ إليهِ، وقلتُ لهُ: قد وفدَ معي من الضـعفاءِ والأشـراف من رأيت، وأنَا أسـتحيي من إتعابِكُم في السـؤالِ لهم، مع عزمي أني لا أذكر شـيئًا مما يحصـل، فقال له الإمام إسماعيل: يا صنو إبراهيم هذا مال ليس لي ولا لك، إنَّما هوَ للمسـلمين، فإذا عرفتَ اسـتحقاق أحد فَيَدُكَ مِثْلُ يَدي قد فوضـتك، قال: فأعطيته الرقاع فكان جملة ما علم فيه ثمانية آلاف حرف، وقد صـار الناس في أيامه في سـعةٍ بعد أن كانوا بخلاف ذلك، فإنَّ دعائم الإسـلام انتصـبت بالإمراس من عيال أولاد المنصـور عليه السلام وما ذلك إلا لسعة خاطره الكريم، ومن ذلك ما يراهـ عليه السلام-من ظهور السعة والتصرفات الواسعة على كثيرٍ من عُمالهِ وخواصـــهِ وخواص أولاده من الكفـايـات، ومـا يظهر معهم من الآلاتِ والعمارات والضـياع والمُستغلات، أمَّا صـبرهُ على تحمُّلِ الأعباء والكدح الشـــديد، لما يبلغ من الأنباء وانثيال أهل الحاجات إليه مع طمعهم في نايله الذي لا يُحد ولا يُحصى له حد، وأمَّا شفقتهُ على الأمةِ عمومًا وعلى الضـعفاءِ منهُم خصـوصًـا فيشـهدُ بذلك ما تراه في أثنـاء سـيـرتـه النـافعة من جمل ذلك". انتهى كلام مؤلف سيرة الإمام العلامة المطهر بن محمد الجرموزي.

مذهبـــــــهُ: يعتبرُ الإمام المتوكل على الله إسماعيل، من أكابر علماء الزيدية في اليمن، يتضح ذلك خلال الآتي:
- تفقهـهُ على يـدِ أكـابِر علمـاء الزيـديـة المجتهـدين، وتعمقـهُ في أصـولِ المذهب الزيدي، حتى نبغ فيه، وصـارَ رأسًـا، وعلمًا مِن أعلامِ الأئمة الزيدية؛ بل كان المرجع الأعلى في عصرهِ، والدليل اجتمـاع والتفاف أكـابر العلماء حولهُ لِمُدارســـةِ ومراجعة أمَّهات الأصول في وقته وفي حضرته.

نتائج البحث

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته المنتجبين الأبرار.
- أنَّ الإمام المتوكل إسـماعيل كان من جهابذة المدرسـة الزيدية، وكان منفتحًا على بقية المذاهب في الساحة اليمنية.
- تبين أيضًـا أن الإمام كان شـغوفًا بالعلم والعلماء محبًا لهم داعمًا لهم من خلال بنـاء المدارس العلمية، ودعم طلاب العلم بإمكانات كبيرة مما أنتج لليمن جهابذة في العلم.
-من خلال سـيرته المباركة يظهر مدى شـغف الإمام إسـماعيل بجمع الكتب وايقافه لكثير من الكتب لتنتفع الأمة بها.

وختامًا: أسأل الله العليم الكريم أن يجعل هذا الجهد خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم في كل مكان، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصـلى الله على الهادي البشير، والسراج المنير وعلى آله الطيبين الطاهرين.

التوصيات

-أوصـى الباحث بمزيد من الدراسـات عن الإمام إسـماعيل بن القاسم الشخصية اليمنية العلمية المجاهدة الفذة.

المصادر والمراجع

أولًا: القران الكريم
ثانيًا: كتب التاريخ والتراجم والبلدان
-الوجيه. عبدالسلام، أعلام المؤلفين، - ط -مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء.
– البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق الدكتور: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق- سوريا- 1419ه- 1998م
– المؤيدي. مجد الدين بن محمد، التحف شـرح الزلف، تأليف السيد العلامة المجتهد مجد الدين بن محمد المؤيدي، -ط 2مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية – صعدة.
–مفتـاح العلامـة عبـدالله بهجـة الزمن في تـاريخ اليمن، لتـاج الدين اليماني، ط- دار الكلمة- صنعاء- طبعة ثانية 1985م.
– رجال شرح الأزهار (870ه – 1466م) ط- صنعاء.

–الصـــلابي. علي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأســباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامي ط أولى، 1421ه .
–المحلي. حميد بن أحمد، الحدائق الوردية في أخبار الأئمة الزيدية، تحقيق ودراســة: د\ المرتضـــى بن زيد المحطوري، الطبعة الأولى- 2002م مركز بدر العلمي – صنعاء.
-الجواهر المضيئة في تراجم بعض رجال الزيدية، تأليف: السيد العلامة عبد الله بن الإمام الهادي الحســن بن يحيي القاســمي الضـحياني، ت (1375ه)، دراسة وتحقيق: عبد الله بن عبد الله الحوثي، الناشر مؤسسه الإمام زيد بن علي الثقافية.
–الجنداري. أحمد عبدالله الجامع، المجيز بذكر وفيات العلماء ذوي التبريز (1279- 1337ه)، الناشر مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية .
–ابن المرتضـــى. أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، تحقيق: ســوســنة ديفيد، دار المنتظر بيروت، الطبعة الثانية 1409ه – 1987م.
–المؤيـد بـاللـه. إبراهيم بن القـاســم، طبقـات الزيـديـة الكبرى(ت1152ه)، تحقيق عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي، ط- الأولى
– ابن أبي الرجـال. أحمد بن صـــالح، مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق: محمد عزان، حميد جابر عبيد، مركز التراث والبحوث اليمني.